مجلة جامعة الملك سعود، م ٢، الآداب (١)، ص ص ١١٧ - ١٣٢ (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

ها أنا... ها أنا ذا

محمد الباتل

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. التعبير (ها + أنا + ذا) تعبير شائع مقبول في اللغة العربية تناوله قدماء النحاة، واقتصر عليه القرآن الكريم. أما التعبير (ها التنبية + ضمير رفع منفصل + غير اسم إشارة) فصَمَتَ عنه قدماء النحويين، وفهم بعض نحاة العصر الوسيط كابن هشام، والدماميني وغيرهما من ذلك الصمت أنه تركيب شاذ، وتابعهم كثير من أصحاب الحواشي النحوية في مطلع هذا العصر. وفي هذه المقالة أحاول إيراد شواهد على التعبير الثاني من عصور الاستشهاد نثرية وشعرية، لنفي الشذوذ عنه، ثم استأنست بإكمال الحلقات التاريخية عن هذه الظاهرة اللغوية، فأوردت تعبيرات منها لعلماء مشهود لهم، عاشوا بعد عصر الاستشهاد.

صوت الهاء حرف يخرج من الحنجرة بهمس ورخاوة (احتكاك)،[١] ولأنها حرف هشّ يمثّل ألين الحروف الصحاح،[٢] لذلك نراهم يعاملونها أحيانًا معاملة الحروف اللينة، فتقع

---

(١) أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، *الكتاب* (بولاق، مصر: المطبعة الأميرية، ١٣١٦هـ/١٨٩٨م)، مج ٢، ص ٤٠٥؛ ومحمد كمال بشر، *علم اللغة العام - الأصوات* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م)، ص ١٢٢.

(٢) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، *لسان العرب* (بيروت: مطبعة صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، مادة (ها)، مج ١٥، ص ٣٦٨.

بعد القافية صلة،[٣] ويحركون ما قبلها بحركتها لخفائها (اضرب الوَجه، وهذا الوجُه، وفررت من الوجِه).[٤]

ولمرونة حرف الهاء كثرت وظائفه في اللغة العربية، وتردّد بين الإسمية والحرفية،[٥] ومن هذه المعاني مجيئه للتنبيه، وهو ما أنا بصدد جانب من جوانبه هنا. قال أبو الهيثم: «ها حرف تنبيه تفتتح العرب بها الكلام بلا معنى سوى الافتتاح.»[٦] ويظهر أن هذا المعنى لها مشترك بين الساميات مما يدل على قدمه.[٧]

وعدّ النّحاة من هذا الباب تقدّمها على ضمير الرفع المنفصل في الآيات القرآنية الكريمة التالية: قال تعالى ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ . . . ﴾،[٨] وقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾،[٩] وقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾،[١٠] وقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.[١١] وهذه الآيات

---

(٣) أبو علي الفارسي، *المسائل البصريات*، تحقيق محمد الشاطر أحمد، ط ١ (القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٧١٦.

(٤) أحمد بن يحيى (ثعلب)، *مجالس ثعلب*، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، نشرة ٢ (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، مج ٢، ص ٥٥٣.

(٥) الحسن بن قاسم المرادي، *الجنى الداني في حروف المعاني*، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٣٤٦.

(٦) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، *تهذيب اللغة*، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، ومحمود فرج (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.)، مادة (ها)، مج ٦، ص ٤٨٠؛ وابن منظور، *لسان العرب*، (ها)، مج ١٥، ص ٤٧٥.

(٧) كارل بروكلمان، *فقه اللغات السامية*، ترجمة رمضان عبدالتواب (الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ٨٩. والتصاقها بهذا المعنى واضح في العربية الحديثة وكثير من اللغات الأعجمية، انظر: محمد مرتضى الزبيدي، *تاج العروس* (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ)، مادة (ها)، مج ١٠، ص ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤.

(٨) سورة آل عمران، آية ٦٦.

(٩) سورة آل عمران، آية ١١٩.

(١٠) سورة النساء، آية ١٠٩.

(١١) سورة محمد، آية ٣٨.

الواردة بهذه الصورة المحصورة،[١٢] جميعها قد التزمت طريقة واحدة: هاء، ثم ضمير رفع منفصل، ثم اسم إشارة. وقد اختلف النحويون في تلك الجملة المكونة من ذلك.

قال أبو عمرو بن العلاء، وأبو الحسن الأخفش: أصل (ها أنتم . . .) أأنتم، أبدلت همزة الاستفهام هاء، لأنها أختها في المخرج، واستحسن ذلك ابن النحاس.[١٣] قال أبو حيان النحوي: «وإبدال الهمزة هاء مسموع في كلمات ولا ينقاس، ولم يسمع ذلك في همزة الاستفهام.»[١٤]

والهاء بهذا التوجيه ليست مما أبحثه. ومن الإعرابات الواردة في الآيات السابقة حينما نحكم على الهاء بأنها للتنبيه قولهم إن اسم الإشارة (أولاء، هؤلاء) في موضع نداء قال بذلك الكوفيون، والبصريون يمنعون حذف حرف النداء مع اسم الإشارة، وقيل يجيء ذلك بقلة،[١٥] وقيل إن اسم الإشارة بدل أو عطف بيان.[١٦] وهذه الإعرابات ليست بمهمّة في هذا البحث، حيث المهم قولهم إن اسم الإشارة خبر للضمير، والجملة الفعلية بعد اسم الإشارة في الآيات لا محل لها من الإعراب صلة؛ لِتَأَوُّلِ اسم الإشارة بالاسم الموصول.[١٧]

---

(١٢) انظر: محمد إسماعيل إبراهيم، معجم *الألفاظ والأعلام القرآنية*، ط ٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ودار النصر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، مج ٢، ص ٢٥٢.

(١٣) الحسين بن أحمد بن خالويه، *ليس في كلام العرب*، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط ٣ (مكة المكرمة: مؤسسة عبدالحفيظ البساط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ٣٦٦؛ وأبو عبدالله: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* (القاهرة: دار الكتب، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، مج ٤، ص ١٠٨،وابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، *الكشاف عن حقائق التنزيل* (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، مج ١، ص ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦؛ وأبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن حيان، *تفسير البحر المحيط* (الرياض: مطابع النصر الحديثة، د.ت.)، مج ٢، ص ٤٨٦.

(١٤) أبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، مج ٢، ص ٤٨٦.

(١٥) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، مج ٤، ص ١٠٨؛ وأبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، مج ٢، ص ٤٨٦.

(١٦) أبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، مج ٢، ص ٤٨٦. وعند ثعلب، *مجالسه*، مج ١، ص ٤٤ الخبر محذوف تقديره حاضر أو ما أشبهه.

(١٧) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، مج ٤، ص ١٠٨؛ وأبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، مج ٢، ص ٤٨٦.

ويظهر أن الزمخشري لم يرض عن هذا التأويل حيث وافق على هذا الإعراب، لكنه أعرب الجملة الفعلية جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى.[١٨] والحق أنه لا داعي لهذا التحفّظ إذ كثير من النحويين القدماء قالوا بوحدة أصل اسم الإشارة، والاسم الموصول (الذال وحدها) كما يقول الكوفيون، وهي مع الياء بعدها كما يقول البصريون، والمحْدَثون يؤيدون وحدة المنشأ بينهما بناء على الدراسات المقارنة.[١٩]

ويقول سيبويه: «وقدّم (ها) كما قدّم قوم (ها) في قولهم: ها هو ذا، وها أناذا.»[٢٠] ويقول الفراء: «العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وُصِف بهذا وهذان وهؤلاء فرّقوا بين ها وبين ذا، وجعلوا المكنى بينهما... فيقول القائل: ها أناذا... وربما أعادوا (ها)... فيقولون: ها أنت هذا، وها أنتم هؤلاء.»[٢١] ويقول المبرِّد: «التنبيه يقع قبل كل ما نبهت عليه كما قال الشاعر:

تعَلّمنْ ها لعمرُ الله ذا قسَمًا فاقْدِر بذَرعِكَ وانظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ

أراد تعلَّمنْ لعمر الله هذا قسَمًا»[٢٢] ويقول ابن مالك: «وتصحب هاء التنبيه المجرد [أي

---

(١٨) الزمخشري، *الكشاف*، مج ١، ص ٤٣٥، وتابعه الحسن بن محمد القمي النيسابوري، *تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان*، (بهامش *جامع البيان* للطبري)، ط ١ (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٣٢٤هـ)، مج ١، ص ٢١٧؛ وأورد أبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، مج ٢، ص ٤٨٦؛ رأي الزمخشري هذا.

(١٩) انظر: هنري فليش، *العربية الفصحى*، تعريب عبدالصبور شاهين، ط ١ (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م)، ص ١٧٢؛ وأحمد حسين شرف الدين، *لهجات اليمن قديمًا وحديثًا* (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٧٠م)، ص ١٩؛ وزاكية محمد رشدي، «الموصول في اللغات العربية والعبرية والسريانية،» *مجلة مجمع اللغة العربية بمصر*، مج ٣٠ (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص ص ١١٣، ١١٩.

(٢٠) سيبويه، *الكتاب*، مج ٢، ص ١٤٥.

(٢١) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، *معاني القرآن*، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، مج ١، ص ١٣١، ونقل ثعلب في *مجالسه*، مج ١، ص ٤٣ مثل ذلك منسوبًا للكسائي.

(٢٢) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، *المقتضب*، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة (بيروت: عالم الكتب، د.ت.)، مج ٢، ص ٣٢٣. والشاهد لزهير.

اسم الإشارة المجرّد من كاف الخطاب] . . . وقد تعاد بعد الفصل توكيدًا .»[٢٣] وسوف أكتفي بكلام هؤلاء، وهو يدل صراحة على أن (ها) التنبيه في (ها أنا ذا وأخواته) هي نفسها الهاء الداخلة على اسم الإشارة (ذا) قدّمت عليه، وفصل بينهما بضمير الرفع المنفصل، وإن أعيد مع اسم الإشارة فإنما ذلك للتوكيد، كما هو ظاهر كلام الفراء وصريح كلام ابن مالك، وصريح كلام الجوهري من قبله.[٢٤] وقد اعترض المرادي بعد إيراده لكلام ابن مالك هذا قائلاً: «وكلام سيبويه يقتضي أن (ها) تدخل على الضمير كما تدخل على اسم الإشارة، وليست مقدّمة من تأخير قال: وقد تكون (ها) في (ها أنت ذا) غير مقدّمة، ولكنها تكون للتنبيه، بمنزلتها في هذا يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾. فلو كانت (ها) المقدّمة مصاحبة (أولاء) لم تُعد. ويؤيد ما قاله سيبويه أن (ها) قد دخلت على الضمير، وليس خبره اسم إشارة. كقول الشاعر.

أَبَا حَكَمٍ هَا أَنْتَ نَجْمٌ يُجَالِدُ قال بعضهم هو شاذ»[٢٥]

وقد ذكر السيوطي مثل ذلك ناسبًا هذا الفهم من كلام سيبويه لأبي حيان النحوي.[٢٦] وكلام أبي حيان في تفسيره صريح في أن (ها) التنبيه «أصلها أن تباشر اسم الإشارة، لكن اعتنى بحرف التنبيه فقُدّم.»[٢٧] ولعل إنكار أبي حيان — إن صح — ينصبّ على عدم الموافقة على أن الهاء الثانية في (ها أنتم هؤلاء) للتوكيد، كما أجاب عن ذلك بعض العلماء كما تقدّم. والحق أن هذا النص الذي أورده المرادي لسيبويه مرتبط بنص آخر قبله

---

(٢٣) أبو عبدالله محمد بن مالك، *تسهيل الفوائد*، تحقيق محمد كامل بركات (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص ٤٠؛ وعبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل، *المساعد على تسهيل الفوائد*، تحقيق محمد كامل بركات (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، مج ١، ص ص ١٨٥ ـ ١٨٨.

(٢٤) إسماعيل بن حماد الجوهري، *الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار (القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، مادة (ها)، مج ٦، ص ٢٥٥٧؛ وعنه الزبيدي، *تاج العروس*، (ها)، مج ١٠، ص ٤٥٥.

(٢٥) المرادي، *الجنى الداني*، ص ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٢٦) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، *همع الهوامع*، تحقيق عبدالسلام محمد هارون وعبدالعال سالم مكرم (الكويت: دار البحوث العلمية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م)، مج ١، ص ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢٧) أبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، مج ٢، ص ٤٨٥.

مباشرة هو: «وكذلك ها أناذا، وها نحن أولاء، وها هو ذاك، وها هما ذانك، وهاهم أولئك، وها أنت ذا، وها أنتما ذان. . . وزعم الخليل أن (ها) هنا هي التي مع ذا. . . فقدّموها وصارت أنا بينهما. . . وقد تكون ها في: ها أنت ذا غير مقدّمة. . . .»[٢٨] إلى آخر ما أورده المرادي، وقد أورد البغدادي هذا النص بتمامه متتابعًا.[٢٩] وبهذا يتضح أن رأي تقديم (ها) وفصله عن اسم الإشارة ليس لابن مالك، وإنما هو للخليل، وأن هذا الرأي لم يخالف رأي سيبويه، لأنه ذكره أولاً، ثم ثنّى بالقول إن (ها) المقدمة ليست (ها) ذا وأخواته، مستهلاً هذا الرأي بصيغة التضعيف (وقد. . .)، لذلك نرى الأعلم يعلّق على شاهد سيبويه (تَعَلَّمَنْ هَا لَعَمْرُ الله ذَا. . .) بقوله: «الشاهد فيه تقديم (ها) التي للتنبيه على ذا، وقد حال بينهما بقوله: لعمر الله.»[٣٠] وقد ذكر ثعلب بجانب هذا الرأي رأيًا آخر يقول: إن (ها) تنبيه بمعنى اسمع.[٣١] وهذا القول جمع بين أمرين: كونها للتنبيه، وقد سبق قول أبي الهيثم أن التنبيه بلا معنى سوى الافتتاح. وكونها بمعنى اسمع، وهذا من المعاني الواردة لـ (ها) ولكنها تكون حينئذ اسم فعل، وليست للتنبيه.[٣٢] وحصل ذلك من مؤلف آخر، أيضًا، حيث أطلق التنبيه على (ها) وعلى ما ارتبطت به (اسم الفعل) ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾[٣٣] ولعله تسامح في المصطلحات، يشفع له دقة الفرق، حيث (ها) التنبيه فيها رائحة الإشارة الفعلية. قال ابن الخشاب: «ويبيّن أنها [أي اللام] للبعد أنها لا تجمع

---

(٢٨) سيبويه، *الكتاب*، مج ١، ص ٣٧٩.

(٢٩) انظر: عبدالقادر بن عمر البغدادي، *خزانة الأدب*، ط ١ (القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٢٩٩هـ/١٨٨١م)، مج ٢، ص ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٣٠) الأعلم الشنتمري، بهامش (سيبويه، *الكتاب*)، مج ٢، ص ١٤٥.

(٣١) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، *شرح ديوان زهير بن أبي سلمى* (القاهرة: دار الكتب، ١٣٦٢هـ/١٩٤٤م)، ص ١٨٢.

(٣٢) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، *معاني الحروف*، تحقيق عبدالفتاح إسماعيل شلبي (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.)، ص ٩٢؛ والأزهري، *تهذيب اللغة*، مج ٦، ص ٤٨٠؛ والمرادي، *الجنى الداني*، ص ٣٤٦.

(٣٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي (منسوب إليه)، *كتاب الجمل في النحو*، تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٢٦٨، والآية هي رقم ١٩ من سورة الحاقة.

في الاستعمال مع (ها) التي للتنبيه، لاتفاقهما في الدلالة والبعد في المشار إليه.»[٣٤] وأوضح من ذلك قول الرماني: «وفي قولك (ها) معنى التنبيه، ولذلك تنصب النكرة على الحال بعده نحو قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ إن شئت جعلت العامل في الحال معنى التنبيه، وإن شئت معنى الإشارة، ويبين لك ذلك أنك تقول: ها قائمًا ذا زيد، فإن جعلت العامل معنى التنبيه صحّت المسألة، لأن الحال قبل العامل.»[٣٥] ثم إن (ها) تأتي للإشارة في اللغة العربية الحديثة، واللغة العبرية، واللغة السريانية.[٣٦] أعود بعد ذلك إلى العبارة الأخيرة مما قاله المرادي آنفًا وهي قول الشاعر:

أَبَاحَكَمٍ هَا أَنْتَ نَجْمٌ يُجَالِدُ

قال بعضهم شاذ. حكم عليه بالشذوذ حيث لم يخبر عن الضمير الواقع بعد (ها) التنبيه باسم إشارة، لأنه أورد هذه القاعدة بهذا الشرط،[٣٧] شأنه في ذلك شأن متأخري النحاة كابن هشام،[٣٨] وشرّاح كتبه كما سيأتي، وشأن متأخري أصحاب المعاجم كالفيروزابادي،[٣٩] والزبيدي.[٤٠] وعلى الرغم من سرد ابن هشام والفيروزابادي لهذه القاعدة فإنهما خالفاها في خطبتي كتابيهما الواردتين فيهما، قال ابن هشام في مقدمة كتابه «وها أنا بائح بما أسررته، مفيد لما قررته وحررته.[٤١] فقال: ها أنا بائح، ولم يقل ها أنا ذا بائح.

---

(٣٤) أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشّاب، *المرتجل*، تحقيق علي حيدر (دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص ٣٠٢.

(٣٥) الرماني، *معاني الحروف*، ص ٩٢؛ والزبيدي، *تاج العروس*، (ها)، مج ١٠، ص ٤٥٧.

(٣٦) انظر: بروكلمان، *فقه اللغات السامية*، ص ٨٩؛ وفليش، *العربية الفصحى*، ص ١٦٦؛ ورفائيل نخلة اليسوعي، *غرائب اللهجة اللبنانية السورية* (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٢م)، ص ١٠٤.

(٣٧) المرادي، *الجنى الداني*، ص ٣٤٨.

(٣٨) أبو محمد جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب* (القاهرة: المطبعة الشرفية، ١٣٢٨هـ)، مج ٢، ص ٢٥.

(٣٩) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، *القاموس المحيط*، ط ٣ (القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٢هـ)، مادة (ها)، مج ٤، ص ٤٠٦.

(٤٠) الزبيدي، *تاج العروس*، (ها)، مج ١٠، ص ٤٥٤.

(٤١) ابن هشام، *مغني اللبيب*، مج ١، ص ٤.

وقد انتقده الدماميني على ذلك واصفًا ذلك بالشذوذ، وهو الوصف الذي أطلقه ابن هشام نفسه في شرح التسهيل كما يقول،[٤٢] كما انتقده الخضري وردد المقولة نفسها.[٤٣] أما محمد الأمير فعلّق على عبارة ابن هشام (ها أنا بائح) بقوله: «أدخل هاء التنبيه على الضمير من غير أن يخبر عنه باسم إشارة وإنما الشائع أن يخبر عنه به... وذلك لأن أصلها [أي ها التنبيه] الإشارة، والمبتدأ عين الخبر في المعنى.»[٤٤] فجعل صنيع ابن هشام هذا من غير الشائع، وذلك أخف. وذكر أحد أصحاب الحواشي أن ابن هشام وقع في هذا التركيب في موضعين آخرين.[٤٥]

وقال الفيروزابادي في مقدمته «وها أنا أقول إن احتمله منى اعتناء، فالزبد وإن ذهب جُفاء، يركب غارب البحر اعتلاء.»[٤٦] وقد انتقده محمد الخضر حسين، وانتقد ابن هشام معه أيضًا، حيث قال: «كم من إمام في العربية ينطق أو يؤلّف بعبارة تخالف مذهبه الصريح. أفلم يشترط ابن هشام في كتاب *المغنى* لدخول هاء التنبيه على الضمير كون خبره اسم إشارة، ولم يحافظ على هذا الشرط في خطبة الكتاب نفسه... ووقع صاحب *القاموس* في هذه الهفوة بعينها فشرط... ما شرطه ابن هشام... ولم يأخذ نفسه بهذا الشرط فقال... .»[٤٧] قلت: ونظير هذا ما حصل من أبي علي الفارسي حيث قال: «إنما تكون في نفس الكلمة وذاتها»[٤٨] مع أنه ممن لا يرى إضافة الشيء إلى نفسه حيث قال بعد أربع

---

(٤٢) محمد بن علي الصبان، *حاشيته على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك* (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، د.ت.)، مج ١، ص ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٤٣) محمد الخضري، *حاشيته على شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك* (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، د.ت.)، مج ١، ص ٦٩.

(٤٤) محمد الأمير المالكي، *حاشيته على مغني اللبيب* (بهامش: ابن هشام *مغني اللبيب*)، مج ١، ص ٤.

(٤٥) ابن هشام، *مغني اللبيب* (تبريز: ملّا عباس علي، د.ت.)، ص ٢، (رجعت إليها في هذا الموضع فقط).

(٤٦) الفيروزأبادي، *القاموس المحيط*، مج ١، ص ٦.

(٤٧) محمد الخضر حسين، *دراسات في العربية وتاريخها*، ط ٢ (دمشق: المكتب الإسلامي ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ص ٣٨.

(٤٨) الفارسي، *المسائل البصريات*، ص ٧٠٤.

صفحات «لم يضف الشيء إلى نفسه، لأن الغرض من الإضافة تخصيص يكتسبه المضاف من غيره، ولو أضيف إلى نفسه لكان غير الغرض المقصود.»[٤٩] والكمال لمن له الكمال.

مع الشواهد

١ ـ شواهد النحاة:

كتب النحو التي أشرت إلى بعضها هنا مثّلت للعبارة المكونة من (ها التنبيه + ضمير الرفع المنفصل بأنواعه + اسم الإشارة بأنواعه) واستشهدت ببعض الآيات القرآنية السابقة، مكتفية بذلك، فيما يظهر، عن الشواهد الشعرية على غير عادتها.

كما اهتمت هذه الكتب بهذا التركيب إذا تكوَّنَ من (ها التنبيه + غير ضمير رفع منفصل + اسم إشارة) وأوردت على ذلك شواهد شعرية متوارثة،[٥٠] وفي كتب الأدب مدد لها،[٥١] وحكموا عليها بالقلة، ولعل الأمر كما حكموا، ونظرًا لهذا، ولأنني لم أُدخل هذه الحالة معي في هذا البحث، أترك هذه الشواهد. أما التقليب الثالث للتركيب فهو (ها التنبيه + ضمير الرفع المنفصل بأحد أنواعه + غير اسم إشارة) فلم تتناوله هذه الكتب، بل

---

(٤٩) الفارسي، *المسائل البصريات*، ص ٧٠٨، علمًا بأن الفراء يجيزه عند اختلاف اللفظ، ورجّحه محمود بن أحمد العيني، *فرائد القلائد* (القاهرة: المطبعة الكاستليه، ١٢٩٧هـ)، ص ٢٢٩؛ وعبدالله بن السِّيد البطليَوْسي، *إصلاح الخلل الواقع في شرح الجمل للزجاجي*، تحقيق حمزة النشرتي، ط ١ (الرياض: دار المريخ، ١٣٩٩هـ)، ص ٢١٢ نسب جواز ذلك عند سيبويه. كذلك استعمله البطليوسي، ص ٢٤٧؛ ورجح ذلك ج. برجشتراسر، *التطور النحوي للغة العربية*، تعليق رمضان عبدالتواب (القاهرة: مطبعة المجد، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ١٥٠.

(٥٠) انظر مثلاً: سيبويه، *الكتاب*، مج ٢، ص ١٤٥؛ والمبرد، *المقتضب*، مج ٢، ص ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣؛ والسيوطي، *همع الهوامع*، مج ١، ص ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤؛ والبغدادي، *خزانة الأدب*، مج ٢، ص ص ٤٧٥ ـ ٤٨٠.

(٥١) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، *كتاب النوادر في اللغة*، عناية سعيد الخوري الشرتوني (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.)، ص ص ٩٦ ـ ٩٧. وسيأتي ما في ديوان امرىء القيس من ذلك.

سكتت عنه، فيما أعلم، نعم تطرق إليه من أصحاب كتب حروف المعاني، بالإضافة إلى من سبقت الإشارة إليهم من المتأخرين المالقي (ت ٧٠٢هـ) وهو منهم قائلاً «وتقول ها أنا أفعل»[٥٢] وهذا يعني أنه يرى جواز ذلك من غير منع أو شذوذ لا كما رأى نحويّو حقبته. أما الشواهد الشعرية على هذا التعبير فلم أطلع على غير ما أورده المرادي، وقد مرّ معنا، وهو شطر بيت غير معروف النسبة حتى الآن، وليس من شواهد النحاة المتداولة، ومعلوم أن المرادي من المكانة بحيث لا يورده لو كان شعرً مولّدا. ولعل صمت المتقدمين عن هذه الحالة هو ما دفع بالمتأخرين من النحاة المومأ إليهم آنفًا، أن يستنتجوا الحكم عليها من مفهوم حكم مَنْ سبقهم على الحالة الأولى (ها + أنا + ذا) لا من المنطوق. وقد صرّح بذلك الصبان حيث قال على قاعدة الأشموني على تلك العبارة: «وأَفْهَمَ كلامُ الشارح منعَ إدخال (ها) التنبيه على الضمير المنفصل الذي ليس خبرِه اسم الإشارة، وبه صرّح الدماميني نقلاً عن ابن هشام. . . .»[٥٣]

ب ـ شواهد أخرى:

١ ـ عصور الاستشهاد

مسحتُ شرح ديوان امرىء القيس (ت ٥٤٠م)، ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم، وأخبار النوابغ وآثارهم، فوجدت شاهد النحاة للنابغة الذبياني: هَا إِنَّ ذِي عِذْرَةٌ إِلَّا تَكُنْ نَفَعَتْ. . . [٥٤] كما عثرت على معضّد له لمهلهل بن ربيعة:

يَوْمَ يَدْعُو مُهَلْهِلٌ يَالَ بَكْرٍ (هَا أَهَذِى) حَفِيظَةُ الأَحْسَابِ[٥٥]

وهذا من الفصل بين ها التنبيه واسم الإشارة بغير ضمير الرفع المنفصل مما لست بصدده.

---

(٥٢) أحمد بن عبدالنور المالقي، *وصف المباني في شروح المعاني*، تحقيق أحمد الخراط (دمشق: مطبعة مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٤٠٦.

(٥٣) الصبان، *حاشيته على الأشموني*، مج ١، ص ١٤٥.

(٥٤) حسن السندوبي، *شرح ديوان امرىء القيس، ومعه أخبار المراقسة وأخبار النوابغ*، ط ٧ (بيروت: المكتبة الثقافية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٤٠٠.

(٥٥) السندوبي، *شرح ديوان امرىء القيس*، ص ٢٣٨.

كذلك وجدت بيتًا للربيع بن ضبع الفزاري، جاهلي معمَر، قيل إنه أدرك الإسلام:

(هَـا أَنَـا ذَا) آمُـلُ الْخُلودَ وَقَـدْ أَدْرَكَ عَقْـلِي وَمَـوْلِـدِي حَجَـرا[٥٦]

وهذا تعبير لا غبار عليه. أما التعبير (ها + أنا + غير اسم الإشارة) فلم أعثر عليه في هذه المجموعة.

كما تتبعت شعر عنترة العبسي (ت ٦١٥م) فجاء منه على القاعدة المشهورة ما هجا به عمارة بن زياد:

أَحَـوْلِي تَنْفُضُ اسْتُـكَ مِذْرَوَيْهَـا لِتَقْـتُلَنِي (فَهَـا أَنَـا ذَا) عُمَارا[٥٧]

وهـذا لا يحتـاج إلى الوقوف عنده إنما اللذان يستحقان الوقوف عندهما بيتان على القاعدة الأخرى التي قال عنها بعض متأخري النحويين إنها شاذة، وهما:

(وَهَـا أَنَـا قَدْ بَرَزْتُ) اليَوْمَ أَشْفِي فُؤَادِي مِنْكُـمُ وَغَـلِيلَ صَدرِي[٥٨]

(وَهَـا أَنَـا مَيِّتٌ) إِنْ لَمْ يُعِـنِي عَلَى أَمْـرِ الْهَوَى الصَّبْرُ الْجَمِيلِ[٥٩]

وقد عدّهما جامع الديوان في ملحق ديوان عنترة، ولكنه لم يورد البيت قبلهما لعنترة، وإنما أورده جامع آخر.

وإذ انْتَهَيْتُ من هذين المجموعين الشعريين أُورد نصوصًا أخرى من عصور الاستشهاد. من ذلك قول أبي كبير الهذلي، أو عوف بن محلّم الخزاعي:

وَلَـوْعًـا فَشَـطَّتْ غُرْبَـةً دَارُ زَيْنَبٍ (فَـهَـا أَنَـا أَبْـكِي) وَالفُؤَادُ قَرِيحُ

(٥٦) السندوبي، *شرح ديوان امرىء القيس*، هامش ص ٢٤.

(٥٧) عنـترة العبسي، *ديوان عنـترة*، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي (دمشق: المكتب الإسلامي، د.ت.)، ص ٢٣٤ (رجعت إليه في هذا الموضوع فقط)؛ وثعلب، *مجالسه*، مج ١، ص ٤٣، أورد منه موضع الشاهد؛ والبغدادي، *خزانة الأدب*، مج ٣، ص ٣٦٢، أورده ضمن القصيدة التي يليه منها شاهد نحوي شائع.

(٥٨) عنترة العبسي، *ديوان عنترة* (بيروت: دار صادر وبيروت، د.ت.)، ص ١٥٨ (من هذه الطبعة بقية النقول).

(٥٩) عنترة، *ديوانه*، ص ١٨٣.

نسبه المبرِّد لعوف،[٦٠] ونسبه المرصفي لأبي كبير أنشده عوف عند ابن طاهر من رجال المأمون العباسي في قصة ذكرها.[٦١] ومن ذلك تعبيرات نثرية وردت في قصة ليزيد بن الوليد بن عبدالملك الأموي مع شيخ ينادمه، نُسِب فيها ليزيد قوله: «وها نحن نقترح لك،» ونسب للشيخ قوله: «وها أنا أزيل عنك اللبس.»[٦٢] ومن النثر، أيضًا، ما رواه أبو المهلهل الخزاعي قال: ارتحلت إلى الدهناء، فسألت عن ميّ صاحبة ذي الرّمّة، فقالت: «ها أنا ميّ.»[٦٣] يتلخص مما أوردته على (ها أنا، أو ها نحن + غير اسم إشارة) ثلاثة أبيات شعرية، وثلاثة نصوص نثرية، كلها في عصر الاستشهاد ولا يُعترض على بيت أبي كبير بأنه يُحتمل أن يكون للخزاعي؛ لأن باب الاحتمال واسع، ولو عُمل به لحُذف الكثير من الشواهد، ثم إن الخزاعي بدوي يحتجّ في شعره، وإن كان في عصر المأمون، ويقال مثل ذلك في نفي احتمال أن تكون النصوص النثرية من تحوير الرواة لألفاظ أهلها الفصحاء، لأن الأصل في الرواية المحافظة على القول بنصّه، ثم لا يفوتنا أنه لو حُمل الشعر على الضرورة، فإن ذلك غير وارد في النثر غير المسجوع كما هنا. ولا أشك أن الاستقراء الجماعي، ولو بصفة محدودة، سوف يكشف الكثير من الشواهد على هذه القاعدة، ليثبت أنها إن لم تكن لغة، فليست بشاذة فيما اعتقد، وأن الذين قالوا بشذوذها، إنما انطلقوا من عدم ورودها في القرآن الكريم فحسب، وهو منطلق غير مسلّم به لهم، فليس كل ما لم يرد في القرآن الكريم شاذًّا، على أن مناقشة ذلك طويلة، وليس هذا محلها.

٢ ـ عصور ما بعد الاستشهاد:

خالد بن صفوان التميمي حضري مشهور باللحن، رُوي من حديثه مع الخليفة

---

(٦٠) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، *الكامل في اللغة والأدب* (بيروت: مكتبة المعارف، د. ت.)، مج ٢، ص ٩٨.

(٦١) سيد بن علي المرصفي، *رغبة الآمل* (القاهرة: مطبعة النهضة، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م)، مج ٧، ص ٢٦.

(٦٢) أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي (بهامش *المستطرف للإبشيهي*) دار الفكر، مصورة عن: القاهرة، مطبعة الاستقامة ١٣٧٩هـ، مج ١، ص ص ١٧٥، ١٧٧ على الترتيب.

(٦٣) أحمد بن محمد بن عبدربه، *العقد الفريد*، تحقيق عبدالمجيد الترحيني، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، مج ٨، ص ١٢٨.

السفاح قوله على التعبير المشهور: «ها أنا ذا»[٦٤] ويخالفه العتابي في اعتذار له من هارون الرشيد قائلاً:

(فَهَا أَنَا مَاضٍ) فِي رِضَاكَ وَقَابِضٌ عَلَى حَدِّ مَصْقُولِ الذُّبَابَيْنِ قَاضِبِ[٦٥]

ويَرْوى ابن عبدربه (ت ٣٢٨هـ) لبعض الورّاقين كذلك:

غَضِبْتِ مِنْ قُبْلَةٍ بِالْكُرْهِ جُدْتِ بِهَا (فَهَا أَنَا جِئْتُ) فَاقْتَصِّيهِ أَضْعَافَا[٦٦]

ولكن توزون الديلمي من قواد الخليفة العباسي المتّقي (ت ٣٣٣هـ) استعملها على المشهور «ها أنا ذا قد وَفَيْت.»[٦٧] أما أبو محمد الحريري (ت ٥١٦هـ) صاحب *درّة الغوّاص في أوهام الخواص* فقد نقّرت في مقاماته،[٦٨] فلم أجده استعمل اسم الإشارة بعد الضمير بتاتًا في هذا التعبير مع تعلّقه به، وإليك ما وجدته: في ص ٨٥ «وها هو قد اعترف لك بالقَرْض»، وفي ص ١٤٥ «وها أنا قد أنذرتك قبل أن ينهتك الستر» وفي ص ١٩٥ بيت شعر:

(وَهَا هُوَ الْيَومَ) مُسَجًّى فَمَنْ يَرْغَبُ فِي تَكْفِينِ مَيْتٍ غَرِيْب

وفي ص ٢٣٩ بيت آخر:

(وَهَا أَنَا قد عَزَمْتُ) عَلَى انْتِصَافٍ أُسَاقِي فِيْهِ خِلِّي مَا يُسَاقِي

وفي ص ٢٥٢ «وها أنا اليوم يا سادتي، ساعدي وسَادَتِي.» وفي ص ٣٠٤ «وها هي أمّكم، وحلّ حرمكم.» وفي ص ٣٨٨ بيت شعر:

(وَهَا أَنَا الآنَ) عَلَى مَا يُرَى مِنِّي وَمِنْ حِرْفَتِي الْمُكْدِيَهْ

وفي ص ٤٣٩ «وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم؛ ليضرب على يد الظالم.» وفي ص ٥٦٣ «وها أنا بادي الكآبة لرفض الإنابة.» مجموع ذلك تسعة استعمالات، وعلى الرغم من تتبّع

---

(٦٤) غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابىء، *الهفوات النادرة*، تحقيق صالح الأشتر، ط ١ (دمشق: مطبعة مجمع اللغة العربية، ١٣٩٧هـ/١٩٦٧م)، ص ١٠٣.

(٦٥) أبو إسحاق الحصري، زهر *الآداب*، عناية زكي مبارك، ط ٢ (القاهرة: مطبعة حجازي، د.ت.)، مج ٣، ص ٤٣، وانظر أيضًا مج ٣، ص ص ٩٨، ١٨١، و مج ٤، ص ٣٣٣.

(٦٦) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، مج ٨، ص ١١٦.

(٦٧) محمد الخضري، *محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة العباسية*، ط ٧ (مطبعة الاستقامة، ١٩٥٩م)، ص ٣٧١.

(٦٨) القاسم بن علي الحريري، *مقامات الحريري* (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.).

ابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ) لعيوب هذه المقامات النحوية واللغوية، فإنه لم يَعْتَرِض على تعبير واحد منها، كما لم يَتَعَرَّض لهذا التعبير في كتابه *المرتجل*.

وإذا قفزنا إلى القرن السابع الهجري نجد إمام النحو في القاهرة محمد بن علي المحلّي (ت ٦٧٣هـ) يقول: «وها أنا أشرح لك. . .» و «ها أنا أمثّل لك.[٦٩] فلم يلتزم باسم الإشارة بعد الضمير، وكذا فعل معاصره شرف الدين نصر الله بن عبدالمنعم التنوخي (ت ٦٧٣هـ) بقوله:

وَلَمْ أَعْـمَـلْ لِمَخْـلُوقٍ حِسَـابًـا (وَهَا أَنَا قَدْ عَمِلْتُ) لَكَ الْحِسَابا[٧٠]

ومعاصر لهما آخر هو الشاعر سراج الدين الورّاق (٦١٥ ـ ٦٩٥هـ) حصل منه مثل ذلك:

كَمْ قَطَعَ الْجُودُ مِنْ لِسَانٍ قَلَّدَ مِنْ نَظْمِهِ النُّحُورَا
(فَهَا أَنَا شَاعِرٌ) سِرَاجٌ فَاقْطَعْ لِسَانِي أَزِدْكَ نُورَا[٧١]

ومثل ذلك لأبي البركات ابن الحاج (ت ٧٧١هـ) حيث يقول:

(فَهَا أَنَا حَيٌّ) مَيِّتٌ بِلِقَائِهِ وَلَمْ يَنْجُ مَنْ لَمْ يُسعِدِ الْفَهْمَ نَجْواه[٧٢]

---

(٦٩) محمد بن علي المحلي، *شفاء الغليل في علم الخليل* (مخطوط، مكتبة أحمد الثالث بتركيا ١٧٣٤ أ، ضمن مجموع رفش ١/١٤٥)، ل ١٧ أ، و ل ٢٣ أ على الترتيب.

(٧٠) أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.)، مج ٥، ص ٣٤١.

(٧١) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، *ريحانة الألباء وزهرة الحياة والدنيا*، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ط ١ (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)، مج ١، ص ٤٣٠.

(٧٢) أحمد بن المقرّي التلمساني، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ١ (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، مج ٧، ص ٣٩٦، وقد أكثر الأندلسيون من ذلك، انظر أيضًا: مج ١، ص ص ٣٩، ٥٤، ٢٥١؛ ومج ٢، ص ص ٢٥٠، ٣٩٧؛ ومج ٣، ص ص ٥٠، ٧٩، ٨٢، ١٤٨، ١٩٦، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٨٤، ٣٥٦، ٣٧٦؛ ومج ٤، ص ص ٢١٣، ٢٣٦، ٢٧٤، ٣٤١، ٣٩٩؛ ومج ٥، ص ص ٢٦، ٢٣٩؛ ومج ٦، ص ص ٤٥، ٤٨؛ ومج ٧، ص ص ١١٢، ٢٢٣، ٢٨١.

واستعمل هذين التعبيرين معًا، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (٩٧٧ ـ ١٠٦٩هـ) حيث قال: «ها أنا ذا نائب شاكر» ثم يقول على غير الشائع «وها أنا أتمّم الجواب.»[٧٣]

وفي الختام اعترف أن هذه اللمحة عن هذين التعبيرين أبعد ما تكون عن الشمول، ولكن حسبي أنني أفسحت المجال للنصوص لتتكلم أكثر من نفسي.[٧٤]

(٧٣) الخفاجي، ريحانة الألباء، مج ١، ص ٣٢٨؛ ومج ٢، ص ٣٤٠ (على الترتيب)، كذلك كررها في الصفحة الأخيرة؛ وانظر أيضًا مج ٢، ص ص ٣٢٧، ٤٥٠.

(٧٤) كنت قد أطلعت زميلي عبدالرحمن الدباسي على هذا البحث قبل تقديمه، وبعد قبوله بتاريخ ١٤٠٨/٦/١٤هـ اتصل بي مشكورًا ـ ليفيدني أنه عثر بفهرس لديه على مقالة بقلم الأستاذ: محمد شوقي أمين، بعنوان (تحقيق القول في ها أنا وها أنذا) بمجلة *مجمع اللغة العربية ـ القاهرة*، الجزء ٢٨، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ص ١٠٨ ـ ١١٤. ثم ذهبت وصورتها، ووجدت بعض الاتفاق، وبعض الاختلاف بيني وبينه. ومن الأخير ما يفهم من كلامه ص ١١٣ أن ابن الخشاب انتقد الحريري على استعماله (ها أنا + غير اسم إشارة) مما حملني على إعادة النظر بهذه الانتقادات فلم أجد ما ذكره، بل وجدت النص الذي ذكره يتعلق بكافة وقاطبة ص ١٧ ـ ١٨ بملحق المقامات. وعلى أي حال فله فضل السباق المجلّي، ولي سؤر اللاحق المصلّي.

A Study of the Two Expressions: Hā anā dhā: 'Here I Am' and Hā anā: 'Here I Am'

Muhammad Al-Bātil
Assistant Professor, Department of Arabic, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. The expression (hā anā dhā) which consists of 'hā behold, anā' I nominative, and the demonstrative practice' dha' 'this' is the usual expression that is used to express the meaning given above. It is the expression that is used in the Qur'ān and has been a subject of discussion by the grammarians. The other expression "hā anā" which consists of "hā" behold and "I nom", only, has not been discussed by the grammarians. This led some late grammarians such as Ibn Hishām, Al-Damāmīnī and others to consider this expression non-standard.

In this paper, I will try to cite some texual evidence (shawāhid), drawn from the classical period that show this expression is not, as was claimed, non-standard. To support my point, I cite texual evidence also, from the usages of some well-known scholars who lived after the classical period.